



التصوف و مدى اثره على التفسير اشاري
اسم الباحث : عبد الرحمن عبيد حسين الجنابي
الأستاذ الدكتور : محمد جواد نجفي
جامعة قم / كلية اللاهيات

ملخص

قبل الدخول في البحث ومدى اثر التصوف على التفسير لابد أولاً أن نوضح معنى التصوف وتطوره واقاسمه وحيثياته ، ولأن له صلة وثيقة بالتفسير اشاري .

كلمات مفتاحية : التصوف ، التفسير اشاري

Sufism and the extent of its impact on Ashari interpretation

Researcher name: Abdul Rahman Obaid Hussein Al-Janabi

Professor Dr. Muhammad Jawad Najafi

Qom University / College of Theology

summary

Before entering into the research and the extent of the impact of Sufism on interpretation, we must first clarify the meaning of Sufism, its development, its components, and its rationale, because it has a close connection to the Asharic interpretation.

Keywords: Sufism, indicative interpretation

أولاً : اصل كلمة التصوف

وقد اختلف العلماء في اصل كلمة التصوف ، وفي مصدر اشتقاقها بويمكن تلخيص أهم الآراء فيها .

1_ الصوف: يذهب جمهور العلماء المتقدمين والمتأخرين الى أن كلمة (الصوفي) مشتقة من (الصوف) أو هي نسبة إليه . وهذا أرجح الاقوال الواردة في هذه المسألة، ومنهم أبو نصر السراج الطوسي⁽¹⁾ والكلاباذي وأبو طالب المكي وأبو حفص عمر بن محمد السهروردي وغيرهم .

ومن المتأخرين دكتور زكي مبارك ودكتور عبد الحليم محمود ومن المستشرقين عدد كبير مثل نولدكه⁽²⁾ .

2- صوفة : كان قوم الجاهلية يقال لهم صوفة انقطعوا الى العبادة لله عزل وجل وقطنوا الكعبة⁽³⁾ ، فمن تشبه بهم فهو صوفي.

3- الصفة : وهي فناء ملحق بمسجد رسول الله (صلى الله عليه واله) بالمدينة ، كان يأوي إليه بعد المهاجرين الفقراء الذين أخرجوا من ديارهم ، فلم يكن لهم مال ولا منازل ولا عائلات⁽⁴⁾ .

4-الصفاء : ويذهب بعض العلماء الى ان كلمة (صوفي) مشتقة من (الصفاء) حيث ان اخص صفات الصوفي تطهير قلبه من مشاغل الحياة والصفاء مع الله⁽⁵⁾ .

¹ ينظر: (اللمع) ص 40_41

² ينظر: "التصوف المنشأ والمصادر" ص 34

³ المصدر نفسه

⁴ ينظر: قواعد التصوف : أبا العباس احمد بن احمد زروق ص 21



5- الصف الاول انهم سموا الصوفيه لانهم في الصف الاول بين يد الله عز وجل بارتفاع همم واقبالهم على الله بقلوبهم ووقوفهم بسرائرهم بين يديه⁽⁶⁾.

6- الصوفيه اليونانيه لقد ذهب ابو ریحان البيروني الى ان كلمه صوفي مأخوذه من سوفية اليونانيه التي معناها الحكمه

ولما ذهب في الاسلام قوم الى قريب من ريهم سموا باسمهم وتحرفت السين الى صاد⁽⁷⁾.

7- انه جامد غير مشتق واليه ذهب جماعه من ائمه التصوف وانه بمثابة لقب اطلق عليهم وممن قال هذا الامام القشيري وعلي بن عثمان الجويري وابن خلدون⁽⁸⁾.

وقد ذكرنا ان الوجه الاول ارجح الوجوه في هذا الباب والمكان لا يتسع للتفصيل ومن اراد الزيادة فليرجع للدله التي ترجحه على غيره من الاراء.

وبعد ما ذكرناه الاراء الوارده في اشتقاق لفظ التصوف وبيان الارجح من بينها بقي ان نتحدث عن التعريفات التي جاءت في حد التصوف ثم تليها نشاه التصوف وتطوره في الفكر الاسلامي والنتائج المترتبة على ذلك.

ثانيا : تعريف التصوف وتطوره

أ- تعريف التصوف

سئل الشبلي لماذا سميت الصوفيه بهذا الاسم فقال هذا الاسم الذي اطلق عليهم اختلف في اصله وفي مصدر اشتقاقه ولم ينتهي الراي فيه الى نتيجة حاسمه بعد فترتب على هذا الاختلاف اختلافهم في تعريف التصوف وقد بلغ تعريف التصوف الى ال 2000 او اكثر.

ومن الصعب وضع تعريف جامع مانع للتصوف لانه يعود في جواره الى الوجدان والاذواق الخاصه فهو تجربه ذاتيه تختلف في اختلاف الافراد ومقاماتهم واحوالهم ومع ذلك فلا باس من ان نعرض لبعض التعريفات شيوخم مما يتضح معه الطابع الخاص للتصوف.

أولاً: سئل جنيد عن التصوف فقال هو حفظ الاوقات وان لا يطالع العبد غير حده ولا يوافق غير ربه ولا يقارن غير وقته⁽⁹⁾.

ثانياً: وقال ايضا هو ان يميئك الحق عنك ويحييك به⁽¹⁰⁾.

ثالثاً: قال ابو محمد رويم استرسل النفس مع الله تعالى على ما يريد⁽¹¹⁾.

رابعاً: قال ذا النون وقد سئل عن التصوف هم قوم اثروا الله على كل شيء فاثروهم على كل شيء⁽¹²⁾.

ب- نشاه التصوف وتطوره في الفكر الإسلامي

يكاد ان يتفق الباحثون والمؤرخون على نشاه التصوف وتطورها في الفكر الاسلامي حول موضوعين:
الأول: ان التصوف بدا سلوكا عمليا وتربيته روحيه مصدره العاطفه الدينيه وحراره الايمان التي تفجر في

⁵ ينظر: حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، ابي نعيم احمد بن عبد الله الاصفهاني ص 21

⁶ ينظر: السحرور الدي عوارف المعارف ج1/ ص 102 / 103

ينظر قضيه التصوف المنقذ من الضلال صفحه 34 35 ⁷

ينظر شفاء السائل لتهذيب المسائل لابن خلدون ⁸

⁹ ينظر التعريف لمذهب اهل التصوف ابا بكر محمد العبازي صفحه 63

¹⁰ ينظر قضيه التصوف المنقذ من الضلال صفحه 34 35

¹¹ المصدر نفسه صفحه 72 73

¹² المصدر نفسه 139



قلوب المسلمين وتمثل هذا السلوك في الزهد والتقشف بمعناه العادي والبسيط بالترفع عن الماديات طمعا في رضا الله واستحقاق جناته وفي هذا الدور اخذت هذه النزعة طابعا فرديا لا طائفيا ولا مذهبيا فلم تكن سوى تعبير شخصي عن اجتهاد المسلم بلوغ الكمال في تدينه وطاعته.

الثاني: ان التصوف الفلسفي ظهر متاخرا ذلك في اواخر القرن الثاني الهجري تقريبا اكتمل النمو في القرن الثالث وما بعده وهو وقت ازدهار حركه الترجمة في الفكر الاسلامي وفي هذا الدور اصبح التصوف مذهباً له نظرياته وكتبه وفرقه.

القران الكريم داخل الجزيرة العربية لم يلقى تاويلا فلسفيا ولا صوفيا ولكن لما بلغ شعوب اخرى من الفرس والروم والهند وغيرهم واصبح سفرا مقدسا لهم تناولوه بالتفسير والتاويل مراجعه لهم ثقافتهم وفلسفاتهم وعقائدهم الموروثة وجعلوا هذه التاويلات والتفسيرات بحوثا نظرية حتى اصبح التصوف مذهباً تتميز به الطائفة من الناس لهم معتقداتهم الخاصة يؤلفون فيها ويدافعون عنها ويدعون اليها ولا نعرض اراء الباحثين والمؤرخين ليتبين مدى اتفاقهم فيما ذكرناه..

أولاً: عبد القاهر بن طاهر البغدادي وهو من المؤرخيه الفرق الاسلاميه لا يذكر الصوفيه كفرقه مستقلة وانما يعتبر التصوف سلوكا اخلاقيا امتاز به اهل السنه والجماعه سواء كانوا من الفقهاء والمفسرين او النحات او المتكلمين⁽¹³⁾.

ثانياً: الطوسي يرى ان التصوف العملي يعتبر ظاهره اخلاقيه اساسها الدين ولهذا فهو يخرج اصحاب النظريات التي تتعارض مع الاسلام من زمره الصوفيه حيث يقول ((كل من ترسم برسوم هذه العصابه او اشار الى نفسه بان له مقدما من هذه القصه او انه توهم انه متمسك ببعض اداب هذه الطائفة ولم يكن اساسه على ثلاثه اشياء فهو مخدوع ولو مشى في الهواء ونطق بالحكمه او وقع له قبول عند الخاسد والعامه وهذه الاشياء الثلاثه

- 1- اجتماع جميع المحارم كبيره او صغيره
- 2- اداء جميع الفراغ عسيرها ويسيرها
- 3- ترك الدنيا على اهل الدنيا قليلا وكثيرها الا ما لا بد منه للمؤمن منها⁽¹⁴⁾

اما البيروني فانه حين ينظر الى التصوف في دوره التفلسف فانه يرجعه الى مصادر اجنبية ويستبعد ان يكون له سبب الإسلام⁽¹⁵⁾.

اما القشيري يقول ان المحققين في من هذه الطائفة انقرض اكثرهم ولم يبق في وقتنا هذا من هذه الطائفة الا اثرهم وحصلت الفتره في هذه الطريقه وازال الورع وطوى بساطه واشتد الطمع والقوارب وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الافعال حتى اشاروا الى على الحقائق والاحوال وادعوا انهم تحرروا عن رق الاغلال وانه قامون بالحق تجري عليهم احكامه وهو محو وليس لله عليهم فيما يؤثرونه او يذرونه عتب ولو زالت عنهم احكام البشريه⁽¹⁶⁾.

محمد بن عبد الكريم الشهرستاني وهو من كبار المؤرخين الفرق لا يذكرهم اطلاقا كفرقه من فرق الاسلام ولعل الاشاره الوحيده الى التصوف كسلوك عملي دون ذكره للاسم جاءت في معرض تعريفه للاسلام والايان والاحساس حيث يقول فاذا كان الاسلام بمعنى التسليم والانقياد الظاهران موضع الاشتراك فهو المبدأ ثم اذا كان الاخلاص معه بان يصدق بالله وملائكته وكان مؤمناً حقاً ثم اذا جمع بين الاسلام والتصديق وقرن المجاهده بالمشاهده وصار غيبه شهادته فهو الكمال فكان الاسلام مبداه والايان وسطا والاحسان

¹³ ينظر: الفرق بين الفرق ص 317 تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

¹⁴ ينظر: اللمع ص 516

¹⁵ ينظر: تحقيق مال الهند من مقوله مقبولة في العقل او مرذولة ص 24

¹⁶ ينظر رساله القشيري ص 2-3



كما لا⁽¹⁷⁾.

ابن الجوزي بعد ان يستعرض نشاء التصوف متتبعا في ذلك تاريخ التسميه ينتهي الى ان التصوف الفلسفي ليس اسلاميا النشاه وانه لم يعرف في الاسلام سوى الزهد كخلق له اصوله الاسلاميه ويستدل على ذلك فيقول التصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما ان الزهد لم يذمه احد وقد ذموا التصوف⁽¹⁸⁾.

ونختم اراء الباحثين المسلمين براي شيخ المؤرخين عبد الرحمن بن خلدون فانه يعطينا تفصيلا شاملا عن نشاء التصوف وتطوره وصنلا حظ انه بدوره يرفض ان يكون التصوف الفلسفي اسلامه النشاه هذا يقول هذا العلم من علوم الشريعة الحادثه في المله واصله ان طريقه القوم لم تزل عند سلف الامه وكبارها من الصحابه والتابعين ومن بعدهم طريقه الحق والهدايه واصلها العكوف على العباده والانقطاع الى الله تعالى والاعراب عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذه وما الوجاه وكان ذلك عاما في الصحابه والسلف فلما فشل اقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس الى مخالطه الدنيا اختص المقبولون في العباده باسم الصوفيه والمتصوفه فلما كتبت العلوم دونات كتب رجال من اهل هذه الطريقه في طريقته.

ثم ان قوم من المتأخرين صرفت عنايتهم الى كشف الحجاب وفيما وراء الحسي الكلام في المدارك التي وراءه واختلفت طرق الرياضه عنهم في ذلك باختلاف تعليمهم في اماته القوى الحسيه وتغذيه الروح العاقل بالذكر حتى يحصل للنفس ادراكها فاهل الفتيه بين منكر عليهم ومسلم لهم وليس البرهان والدليل بنافع في هذه الطريقه ردا وقبولا اذ هي من قبيل الوجدانات ثم ان هؤلاء المتأخرين المتصوفه توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم الى الحلول والوحده وملاوا الصحف منه وكان سلفهم مخالطين للاسماعيليه المتأخرين من الشيعة فاشرب كل منهم مذهب الاخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام التصوف القول بالقطب ومعناه راس العارفين.

والذي يظهر ان المتصوف بالعراق لما ظهرت الاسماعيليه من الشيعة وظهر كلامهم في الامامه وما يرجع اليها مما هو معروف فاقتبسوا من ذلك الموازنه بين الظاهر والباطن وجعلوا الامامه للسياسه الخلق في الانقياد الى الشرع وافردوه بذلك ثم جعل القطبه لتعليم المعرفه بالله لانه راس العارفين وافردوه بذلك تشبيها للامام في الظاهر وسموه قطبا لمدار المعرفه عليه فرامل ذلك من كلام هؤلاء المتصوفه مما ليس لسلف المتصوفه فيه كلام بنفي او اثبات وانما هو مأخوذ من كلام الشيعة ومذاهبهم في كتبهم⁽¹⁹⁾. هذا هو الراي الذي ذهب اليه ابن خلدون في نشاه المتصوف ونظرياتهم والعوامل التي اثرت في نشاه التصوف وتطوره يمكن ان نستنبط منه النتائج التاليه..

- 1- التصوف كسلوك عملي اخلاقي بمعنى الزهد والنقشف على منهاج الكتابي والسنة وسيره الصحابه يعتبر علما اسلاميا النشاه والمصدر
- 2- اما التصوف النظري المتفلسف فانه لا يمسك الاسلام ولا نهج الصحابه بصله وانما بدعه محدثه في الفكر الاسلامي غذاتها عوامل الاجنبيه.
- 3- ظهر التصوف الفلسفي في العراق التي كانت مقرا للفلسفات الهنديه والفارسيه واليونانيه وتلك الفلسفات كانت السبب في نشاه التصوف الفلسفي.

¹⁷ ينظر الملل والنحل الجزء الاول صفحه 46

¹⁸ تلبس ابليس صفحه 212 213

¹⁹ ينظر مقدمه ابن خلدون 229 231



ثالثاً: اقسام التصوف

مما سبق يتضح لنا ان التصوف ينقسم الى قسمين أساسيين

- 1- تصوف نظري.. ما هو التصوف الذي يقوم على البحث والدراسة فقط
- 2- والتصوف عملي وهو التسوق الذي يقوم على التقشف والزهد والتفاني في طاعة الله وكل من القسمين كان له اثره في تفسير القران الكريم مما جعلت تفسير الصوفي ينقسم كذلك الى قسمين..
أ-تفسير صوفي نظري
ب-تفسير صوفي فيضي او اشاري
- 1- الصف الاول انهم سموا الصوفيه لانهم في الصف الاول بين يد الله عز وجل بارتفاع همم واقبالهم على الله بقلوبهم ووقوفهم بسرائرهم بين يديه⁽²⁰⁾.
- 6- الصوفيه اليونانيه لقد ذهب ابو ريحان البيروني الى ان كلمه صوفي مأخوذه من سوفية اليونانيه التي معناها الحكمه
ولما ذهب في الاسلام قوم الى قريب من ريهم سموا باسمهم وتحرفت السين الى صاد⁽²¹⁾.
- 7- انه جامد غير مشتق واليه ذهب جماعه من ائمه التصوف وانه بمثابة لقب اطلق عليهم وممن قال هذا الامام القشيري وعلي بن عثمان الجويري وابن خلدون⁽²²⁾.
- وقد ذكرنا ان الوجه الاول ارجح الوجوه في هذا الباب والمكان لا يتسع للتفصيل ومن اراد الزيادة فليرجع للدله التي ترجحه على غيره من الاراء.
- وبعد ما ذكرناه الاراء الوارده في اشتقاق لفظ التصوف وبيان الارجح من بينها بقي ان نتحدث عن التعريفات التي جاءت في حد التصوف ثم تليها نشاه التصوف وتطوره في الفكره الاسلامي والنتائج المترتبه على ذلك.

²⁰ ينظر السحرور الذي عوارف المعارف الجزء الاول 102 103

²¹ ينظر قضيه التصوف المنقذ من الضلال صفحه 34 35

²² ينظر شفاء المسائل لتهذيب المسائل لابن خلدون